(سَقَتْها خروقٌ في المسامعِ ...) .

وأشباهُ ذلك مما يُجْعل الشيءُ فيه فاعلاً على تأويلٍ يَدقّ ُ ومن طريقٍ تلطُف . وليس يكونُ هذا علماً بالإِعراب ولكن بالوصفِ الموجِبِ للإِعراب . ومن ثمّ َ لا يجوزُ لنا أن نعتدَ في شأنِنا هذا بأن يكونَ المتكلّ ِمُ قد استعمل من اللغتين في الشيء ما يقالُ إنه أفصحُهما وبأن يكون قد تحفّ َظ مما تخطىءُ فيه العامّ َة لا بأن يكون قد استعملَ الغريبَ لأن العلمَ بجميع ذلك لا يعدو أن يكون علماً باللغة بأنفَسِ الكَلِم المفردةِ وبما طريقهُ الحفظُ دونَ ما يستعانُ عليه بالنظر ويوصَلُ إليه بإِعمالِ الفكر . ولئن كانتِ العامّ َةُ وأشباهُ العامةِ لا يكادون يعرفون الفصاحةَ غيرَ ذلك فإِنّ َ من ضعفِ النّ َحيزَة إخطارَ مثلهِ في الفكر وإجراءه في الذّ ِكر . وأنت تزعمُ أنّك ناظرٌ في دلائلِ الإِعجاز أتَرى أنّ العربَ تُحُدّ ُوا أن يختاروا الفتحَ في الميمِ من " الشّ َمَع " والهاءِ منَ " النهْر " على الإِسكان . وأن يتحفظوا من تخليطِ العامّ َة في مثل " هذا يَسْوى ألفاً " أو إلى أن يأتوا بالغريبِ الوحشيّ ِ في الكلام معارضون به القرآن كيف وأنتَ تقرأ السورةَ من السورِ الطوالِ فلا تجدُ فيها منَ الغريبِ شيئاً وتأمّ َلْ ما جمعه العلماءُ في غريبِ القرآن فترى الغَريبَ منه إلا في القليلِ إنما كان غريباً من أجلِ استعارةٍ هي فيهِ كمثلِ : (وأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ) ومِثْلِ : (خَلَصُوا نَجِيّاً) ومثل : (فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ) دون أن تكون اللفظةُ غريبةً في نفسها . إنما ترى ذلك في كلماتٍ معدودةٍ كمثلِ : (عَجّ ِلْ لَنا قِطّ َنا) و (ذاتِ أَلْواحٍ ودُسُرٍ) و (جَعَلَ ربّ ُكِ تَحْتكِ سَرِيّاً)